

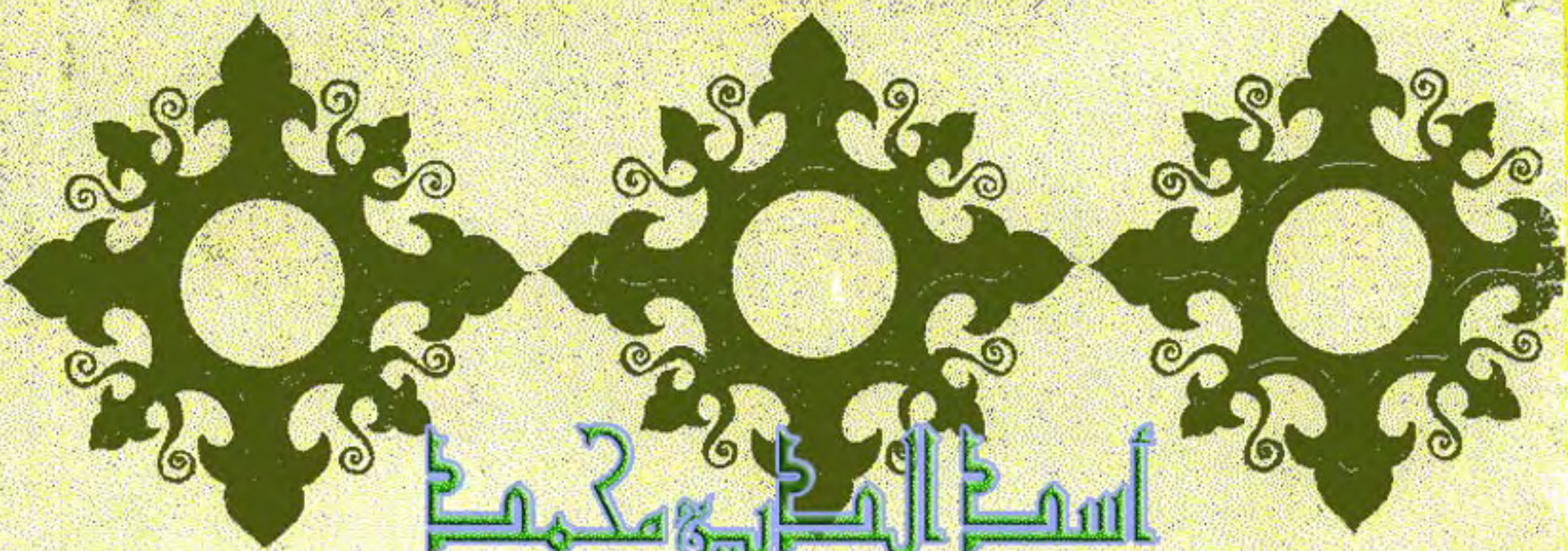
المودد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر -
الجمهورية العراقية

المجلد الثاني عشر - العدد الرابع - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م

WWW.ATTAWHEEL.COM



أسرة المكية

عبد خاص

الفكر العسكري عند العرب

السفن الحربية العربية ونشاطاتها في البحر الأحمر والمحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر

الدكتور

طارق نافع الحمداني

جامعة بغداد - كلية التربية
قسم التاريخ

ويأتي الى جانب ذلك عدد آخر من الكتب اليمنية مثل كتاب « قرة العيون باخبار اليمن الميمون » لعبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الديبع (ت ١٥٣٧/٩٤٤) وكتاب « قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر » لابي الطيب عبد الله بن أحمد بن علي بن ابي مخرمة (ت ١٥٤٠/٩٤٧) ، اللذان يعتبران من افضل المصادر المعاصرة عن قطع الاسطول العربي في البحر الاحمر والمحيط الهندي. ومما تجدر ملاحظته ان الكتاب الثاني كان لا يزال مخطوطاً الى ان تمت ترجمته من قبل شومان L.O. Shuman باسم Political History of the Yemen at the beginning of the 16th Century.

والمجموعة الاخرى المهمة هي كتاب « البرق اليمني في الفتح العثماني » وكتاب « الاعلام بسلام بيت الله الحرام » لقطب الدين محمد بن احمد انهر والي (ت ١٥٨٢/٩٩٠) . ويمتاز هذان الكتابان ، بخاصة الاول منهما ، باحتوائه على كثير من المعلومات المتعلقة بالنشاط البحري العربي والعثماني في البحر الاحمر والمحيط الهندي في النصف الاول من القرن السادس عشر .

والى جانب ذلك كله هناك مجموعات اخرى من المصادر العربية والاجنبية التي عنت بالسفن والبحرية العربية في البحر الاحمر والمحيط الهندي يجدها القارئ في ثنايا هذا البحث .

تناول الباحثون القدامى والمحدثون دراسة الفن والمراكب العربية (١) والبحرية العربية الاسلامية (٢) في العصور المختلفة ، في حين ان مثيلاتها في الفترات الحديثة لازالت تفتقر الى مثل هذه الدراسة . ارجو ان يكون بحثنا هذا مساهمة بسيطة في هذا الميدان .

وقد اطلعت في هذا البحث على عدد كبير من المصادر العربية الرئيسية وكان من اهمها « بدائع الزهور في وقائع الدهور » لابن اياس (ت ١٥٣٠/٩٢٣) ، الذي ترد فيه اشارات كثيرة عن انواع السفن العربية المستخدمة في البحر المتوسط والبحر الاحمر في العقود الاولى من القرن السادس عشر ، وعن طبيعة الاسطول المصري آنذاك .

(١) انظر على سبيل المثال محمد ياسين الحموي ، تاريخ الاسطول العربي - حبيبت زيات ، معجم المراكب والسفن في الاسلام - دويش النخيلي ، السفن الاسلامية على حروف المعجم الخ . .

(٢) انظر اسماعيل سرهنگ ، حقائق الاخبار عن دول البحار - هونيديخ ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية - ابراهيم احمد العدوي ، الاساطيل العربية في البحر المتوسط - سعاد ماسر ، البحرية في مصر الاسلامية - احمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام - العبادي وهبد العزيز سالم ، البحرية الاسلامية في المغرب والانديس الخ . .

وتجدر الإشارة الى ان اهم القوى البحرية المسيطرة على البحر الاحمر والمحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر هي مصر في سواحل البحر الاحمر الشمالية ، واليمن في سواحله الجنوبية . اما الحجاز فلم يكن له اي دور بحري بارز في الفترة المذكورة ، ولكنه كان محط صراع بين القوتين السالفتين الى ان خضع تماماً لنفوذ مصر منذ القرن الرابع عشر وما بعده (٢) .

لقد تزامن وجود القوتين المذكورتين : مصر واليمن ، مع وصول البرتغاليين الى مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي ، الذين حاولوا منذ الوهلة الاولى لوصولهم الى هذه البحار فرض سيطرتهم على التجارة المارة عبرها والحيولة دون مساهمة العرب فيها . وازاء هذه الاخطار الاقتصادية والعسكرية والسياسية فقد وجدت القوتين المذكورتين نفسيهما مضطرتين لتعزيز قواتهما البحرية سواء بانشاء اساطيل جديدة وتعزيز اساطيلهما القديمة ، او باعداد الحملات البحرية لمواجهة البرتغاليين في المياه العربية وخارجها ، او باقامة التحصينات العسكرية لكثير من الثغور العربية الواقعة على سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي دفعا لخطرهم . وهذه الامور التي اشرفنا اليها هي التي ستكون موضوع دراستنا في هذا البحث .

١ - الاساطيل العربية ونشاطاتها البحرية .

على الرغم من ضعف الامكانات الاقتصادية في كل من اليمن ومصر بسبب تحول التجارة العالمية عن طريق البحر الاحمر والخليج العربي الى طريق راس الرجاء الصالح وحرمان العرب من مصدر هام من مصادر ثروتهم ، فقد عمدت هاتان القوتان الى اعداد الاساطيل البحرية الجديدة والقيام بحملات حربية متعددة لمواجهة البرتغاليين الذين كانوا وراء هذه التحولات . ففي اواخر عام ١٥٠٥/١١ بدا السلطان قانصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٧) باعداد اسطول مصري كبير لارساله ضد البرتغاليين الذين استندت وظائفهم في المحيط الهندي واوشكوا على الانتقال بخطرهم الى البحر الاحمر وتهديد مصر

(٢) R.B. Serjeant, The Portuguese off the South Arabian Coast (Oxford, 1963), pp. 5-7.

تهديداً مباشراً (٣) وقد شملت هذه الاستعدادات تجهيز مجموعة كبيرة من السفن الحربية (٤) وهي تضم اعداداً كبيرة من المقاتلين والبحارة ، ومزودة بما تحتاج اليه من السلاح والعتاد والمؤونة ، وبصحبها مجموعة كبيرة من البنائين والنجارين وغيرهم من الفنيين (٥) .

وعهدت قيادة هذا الاسطول الى حسين الكردي (٦) (احد الامراء المالكيك) ، الذي خرج من السويس متوجهاً الى جدة حيث شرع ببناء سور واقامة عدة ابراج حول المدينة ، بهدف حمايتها وتحصينها من الهجمات البرتغالية المتوقعة عليها (٧) . وقد مر حسين الكردي بسواكن فاستولى عليها دون حرب واقام بها بعض الاستحكامات ، ثم توجه نحو الموانيء اليمنية مثل جيزان وجزيرة كمران ومخا ثم وصل الى عدن حيث مكث هناك للتزود بالمؤون اللازمة لمواصلة الاسطول المصري سيره نحو الهند . وقد سمح له حاكم عدن من قبل الطاهريين بان يأخذ من عدن ما يحتاج اليه ، نظراً لوعود سابقة قطعتها الطاهريون على انفسهم بمساعدة الاسطول المصري في حربه ضد البرتغاليين (٨) .

ولم يقف الطاهريون مكتوفي الايدي تجاه الغزو البرتغالي ، فقد جهزوا بدورهم ، رغم ضعف امكانياتهم الحربية والمالية ، اسطولا بحرياً في عام (١٥٠٧-٦/١١٢) لمحاربة البرتغاليين في الهند ايضاً . ويذكر لنا بومخرمة ، ان هذا الاسطول كان مؤلفاً من اربع عشرة سفينة فيها اكثر من ستمائة

(٣) قطب الدين محمد بن احمد النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام (بيروت ، ١٩٦٤) ، ص ٢٤٦ ، انظر ايضاً : احمد دراج ، المالكيك والفرنج في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي (القاهرة ١٩٦١) ص ١٢٦ .

(٤) ابو البركات محمد بن احمد الحنفي ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٠) ج ١ ص ٨٥ . اما النهروالي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ، فقد قدر عدد سفن الاسطول المصري بخمسين سفينة ، وهو امر قد يكون غير صحيح .

(٥) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٤-٨٥ ، النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض ، ١٩٦٧) ص ١٩ .

(٦) انظر ترجمة حياته في ابن اياس المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٦ .

(٨) للتفاصيل عن التحصينات العسكرية الثغور العربية انظر ادناه .

يمني (١٠) غير أننا لا نسمع شيئاً عن هذا الاسطول بعد ذلك ، ويبدو بأنه قد وقع فريسة سهلة للبرتغاليين نظراً لأن المصادر اليمنية صممت حينذاك عن ذكر انباء هذا الاسطول ، ولأن معظم سفنه كانت سفن نقل عادية وليست من النوع الحربي الذي يمكنه من الصمود امام الاسطول البرتغالي . وفضلاً عن ذلك فقد عجز السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري عن ارسال اساطيل اخرى الى الهند ، او عن حفظ السواحل اليمنية امام هجمات البرتغاليين المتكررة عليها (١١) .

اما الاسطول المصري بقيادة حسين الكردي فقد تقدم الى شواطئ الهند ، وهناك استطاع احراز انتصار جزئي امام الاسطول البرتغالي في مياه ديو عام ١٥٠٨/٩١٤ في موقعة شول Chaul . الا ان البرتغاليين سرعان ما استجمعوا قواتهم البحرية فاحرزوا نصراً حاسماً في ٣ شباط ١٥٠٩ امام الاسطول المصري - الهندي فنهبوا سفنه واحرقوا جميع وحداته (١٢) ، وهي المعركة المعروفة في التاريخ بمعركة « ديو البحرية » .

وبعد تحطيم الاسطول المصري في عام ١٥٠٩ وعودة حسين الكردي الى السويس ، تحتم على السلطان الغوري اعداد اسطول ثانٍ في السويس لمجابهة الاسطول البرتغالي ، فاتصل باطراف مختلفة لاعادة بنائه . ففي ايلول عام ١٥١٠ اتصل السلطان الغوري بالبنادقة لمباحثتهم في موضوع امداد بالاختاب والاسلحة والمعدات اللازمة لبناء سفن الاسطول المصري ، الا ان فرسان القديس يوحنا هاجموا السفن المصرية البالغ عددها ثمانى

عشرة سفينة في خليج ايباس ، وهي على وشك الابحار الى مصر محملة بالاختشاب والمعدات المطلوبة لبناء الاسطول الثاني . وقد احرق الفرسان بعض هذه السفن واغرقوا البعض الآخر ، كما استولوا على ما تبقى منها وعادوا بها الى جزيرة رودس ، بحيث لم تنج من هذه السفن سفينة واحدة . وقد قضت هذه الكارثة على المجهود الحربي الذي تقوم به مصر وقتذاك (١٣) .

كما اتصل السلطان الغوري بالعثمانيين من اجل ان يشتري منهم ما يحتاجه من اختشاب وادوات لبناء الاسطول المصري . ولما كانت العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية حسنة في هذه الفترة ، فقد وافق السلطان العثماني بايزيد الثاني على ارسال جميع المواد الضرورية التي طلبها السلطان الغوري دون مقابل (١٤) . وقد ذكر ابن ايباس ما وصل الى مصر من هذه الامدادات وهي تحتوي على ثلاثمائة مدفع وثلاثين الف سهم واربعين قنطار من البارود ، وغير ذلك من عتاد الحرب . كما ارسل نحو الفين من البحارة العثمانيين للمساعدة في اعداد الاسطول في ميناء السويس والمشاركة في الحملة البحرية المنتظرة على الهند برئاسة سلمان الرئيس ، الذي اطلق عليه ابن ايباس « سلمان العثماني » (١٥) .

وقد استغرق اعداد الاسطول المصري في السويس بضع سنوات امتدت الى النصف الاول من عام ١٥١٥ ، وكان حصيلة ذلك العمل بناء عشرين سفينة حربية (١٦) . وفي هذه الاثناء وصلت الاخبار الى السلطان الغوري بتقدم البرتغاليين بقيادة البوكيرك في عام ١٥١٣ الى البحر الاحمر ، فما كان من السلطان الغوري الذي انتهى لتوه من بناء قطع الاسطول المصري الا ان انزل بعضها في ميناء السويس فابحرت في العام التالي بقيادة الامير حسين الكردي (الذي كان يشرف على اعداد الاسطول المصري) لمطاردة الاسطول البرتغالي (١٧) . ولم تتوقف جهود السلطان الغوري عند هذا الحد فقد توجه بنفسه الى ميناء السويس في اذار ١٥١٤ للاشراف على انزال السفن الجديدة الى البحر الاحمر ، وتتابع امدادات السلطان الغوري فارسل له قوة عسكرية اخرى في تموز ١٥١٤ كما

(٩) عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الديبع ، كتاب قرة العيون باخبار اليمن اليمون ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الكوع الغوالي (القاهرة ١٩٧٢) ج ٢ ص ٢١١ ، انظر ايضاً

E.D. Ross, "The Portuguese in India and Arabia, 1517-38", Journal of the Royal Asiatic Society, pt. I (Jan. 1922), p. 2.

(١٠) ابو الغليب عبد الله بن احمد بن علي بن ابي مغرمة ، هلاة النعري وفيات اعيان الدهر (الترجمة الانكليزية) : L.O. Shuman, Political history of the Yemen at the beginning of the 16th Century (Amsterdam, 1960), p. 60.

(١١) د . مصطفى سالم ، الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٢٨ - ١٦٢٥ (القاهرة ٢٥ ، ١٩٧٤) ص ٥٩ .

(١٢) ابن ايباس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٥٦ ، يو مغرمة ، المصدر السابق ، (الترجمة الانكليزية) ، ص ١٠ .

(١٣) ابن ايباس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩١ - ١٩٢ ، دراج ، المالك والفرنج ، ص ١٤٢ .

(١٤) ابن ايباس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٢٠١ ، ٢٦٥ .

(١٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٢٦٥ .

(١٧) ابن ايباس ، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٠٧ - ٨ .

ارسل اسطولا آخر في حزيران ١٥١٥ بقيادة سلمان الرئيس (١٨) ، واشترك معه في قيادة الاسطول المصري ضد البرتغاليين . وكان عدد سفن الاسطول المصري حوالي عشرين سفينة ، اما عدد افرادها فكان حوالي ستة الاف مقاتل ، واغلب هؤلاء من البحارة العثمانيين والمغاربة والتركمان ، اما الباقي فكانوا من الفرق المملوكية المختلفة (١٩) .

ان وحدات الاسطول المصري التي اعدت في السويس لمحاربة البرتغاليين في الهند ، وكانت محط انظار المماليك في استعادة سيادتهم الاقتصادية والسياسية في البحر الاحمر والمحيط الهندي ، لم يقدر لها النجاح في تحقيق هدفها المرسوم . فقد دخلت في نزاع مع الامراء الطاهريين في اليمن ، وانشغلت في تحصين القواعد البحرية في البحر الاحمر ، فظل الامر كذلك حتى سقطت الدولة المملوكية ، وبذلك فشل الاسطول المصري في التوجه الى الهند (٢٠) .

٢ - التحصينات العسكرية للثغور العربية على سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي .

لم يكن اعداد الاساطيل العربية وحملاتها البحرية الوسيلة الوحيدة لمجابهة البرتغاليين وتهديداتهم في البحر الاحمر والمحيط الهندي . فقد بنيت هناك عدد من التحصينات والاستحكامات الحربية اللازمة لحماية الثغور الواقعة على طول سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي (٢١) . وقد كان السور والابراج التي بناها الامير حسين الكردي في اثناء حملته الاولى الى الهند حول ميناء جدة ، احد الوسائل التي اتبعها الصربون لمجابهة البرتغاليين الذين هددوا سواحل البحر الاحمر وجملوها هدفا لهجماتهم (٢٢) . ومن الجدير بالذكر ان الامير حسين الكردي كان قد اصطحب معه عددا

(١٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ٤٦٦ ، انظر ايضا الدكتور سعد زغلول عبد ربه ، « البرتغاليون والبحر الاحمر » ، الدارة ، العدد الثاني ، السنة السادسة (١٩٨١) ص ١١٤ .

(١٩) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٧ .
(٢٠) للتفاصيل انظر ابن الديبع ، قرة العيون ، ج ٥ ص ٢٢١ - ٦ ، النهر والى ، البرق اليمني ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٢١) David Ayalon, Gunpowder and fire-arms in the Mamluk kingdom (London, 1956), p. 50.

(٢٢) النهر والى ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٥ - ٦ .

من البنائين والتجارين الذين شرعوا في بناء سور جدة وابراجها ، وهذا ما جعل من جدة صخرة تحطمت عليها آمال البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر (٢٣) وفي غضون ذلك عمد المماليك ايضا الى بناء التحصينات العسكرية للموانئ المصرية مثل ينبع ورشيد والسويس (٢٤) ، وامتد الامر كذلك الى تقوية ثغور اليمن لاجل تأمين خط الرجعة للحملات البحرية المتوجهة الى الهند .

وكانت عدن من اهم القواعد الاستراتيجية البحرية على المحيط الهندي . وكانت تحيط بها اسوار لحمايتها من الهجمات المفاجئة . وقد وضعت هذه الاسوار موضوع الاختبار امام الهجوم البرتغالي على عدن في عام ١٥١٣ ، فالتبت قابليتها على حماية المدينة ، اذ اشار البرتغاليون انفسهم الى وجود العديد من تلك الابراج والقلاع الصالحة لحماية عدن (٢٥) . وعندما عاود البرتغاليون هجومهم على عدن في فترة تالية وجدوا اميرها مرجان الظافري وقدينى ابراجا اخرى حول جزيرة سيرا Sira Island تحسبا من البرتغاليين (٢٦) وهكذا نرى ان السياسة المصرية (وكذلك الطاهريين) كانت تقوم على اقامة التحصينات القوية على طول سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي ، سواء في جدة او في الثغور اليمنية ، وذلك لاغلاق البحر الاحمر امام البرتغاليين من جهة ولتأمين خطوط عودتهم من جهة اخرى (٢٧) .

٣ - انواع السفن الحربية العربية في البحر الاحمر والمحيط الهندي .

قبل التحدث عن انواع السفن الحربية العربية لابد من الاشارة الى مراكز بناء تلك السفن وطريقة

(٢٣) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٨١ ، انظر ايضا د . فائق بكر الصواف ود . مصطفى محمد رمضان ، اهمية ثغر جدة في النصف الاول من القرن العاشر الهجري (١٦٦) الدارة ، العدد الثاني ، السنة السادسة (١٩٨١) ص ٢٠٢ - ٤ .

(٢٤) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٧٤ ، Ayalon, op. cit., p. 113

(٢٥) H.T. Norris and F.W. Penhey, "The Historical development of Aden's defences", Geographical Journal, Vol. cxxi, pt. I (March, 1955), pp. 14-5.

Ibid. (٢٦)

(٢٧) د . الصواف ود . محمد رمضان ، اهمية ثغر جدة ، ص ٢٠٥ - ٦ .

بناءها ومن ثم التعرض لأنواعها . فمن الواضح ، كما سبق ان اشرنا اعلاه ، الى ان السوييس (٢٨) والطور (٢٩) والنجون (٣٠) كانت من أهم مراكز بناء السفن الحربية المصرية على سواحل البحر الاحمر . ففيها تم بناء معظم السفن الحربية التي خرجت في الحملات اللداهية الى الهند عام ١٥٠٥ وعام ١٥١٤ - ١٥١٥ . وقد استخدم المصريون في بناء وتسليح سفنهم بعض الاخشاب والاسلحة المحلية (٣١) بالإضافة الى ماتم الحصول عليه من البنادقة والعثمانيين (٣٢) مهيايين بذلك القوة البحرية العربية لمواجهة البرتغاليين .

وفي الطرف الجنوبي من البحر الاحمر ، وعلى ساحل المحيط الهندي كانت مدينة عدن مركزا من مراكز بناء السفن الحربية العربية ، وان لم تكن بنفس المستوى الذي كانت عليه المراكز المصرية المذكورة . فمنها انطلقت عام ١٥٠٧ اربعة عشر مركبا لمحاربة البرتغاليين في الهند (٣٣) ، وفيها احرق البرتغاليون ما يقرب من اربعين سفينة هند مهاجمتهم المدينة عام ١٥١٣ - ١٥١٤ (٣٤) وكذلك تم الامر نفسه عند وصول الامير حسين الكردي وسلمان الرئيس اللذان دمرا بعض المراكب الراسية فيها عام ١٥١٦/١٢٢ (٣٥) .

وقد امتازت السفن العربية في البحر الاحمر وغربي المحيط الهندي بانها كانت مخاطة وليست مسمرة كما هو الحال في سفن البحر المتوسط (٣٦) . ويبدو بان شيوع هذا النوع من السفن يرجع الى خبرات العرب الملاحية الطويلة ، وملاحظتهم ان البحر الاحمر وغربي المحيط الهندي كثير الحجارة ، ولذلك فان السفن المسمرة غالبا ماتت كسر اذا ما اصطدمت بالحجارة ، في حين ان مثيلاتها من

(٢٨) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٦٧ ، ٢٢١ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٥١ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٨٥ .

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) انظر اعلاه .

(٣٣) بو مغرمة ، المصدر السابق (الترجمة الانكليزية) ، ص ٦٠ .

(٣٤) Serjeant, op. cit., p. 47.

(٣٥) ابن الدبيع ، كتاب فرة العيون . ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٣٦) حسن صالح شهاب ، اصواء على تاريخ اليمن البحري (بيروت ، ١٩٧٧) ص ٢٦٠ .

السفن المخططة تعطي الليونة فلا تنكسر (٣٧) . ولهذا انسب بالذات استمرار العرب في بناء السفن المخططة حتى يومنا هذا ، وربما بنفس الطريقة التي كانت تبنيها منذ الاف السنين (٣٨) . ولكن يجيب ان لا ننسى ان توفر المواد الخام اللازمة للخياطة ، وعدم توفر الحديد بسهولة في الفترة موضوعة البحث ، وتمسك العرب بتقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها عن اجدادهم ، تمثل اسبابا اخرى في استمرار بناء السفن المخططة (٣٩) . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هل مارس العرب بناء السفن المسمارية ، الجواب على ذلك بالاجاب ولكن متى ولماذا ؟ في الواقع ان طريقة بناء السفن المسمارية في البحر الاحمر وغربي المحيط الهندي قد جاء في مستهل القرن السادس عشر الميلادي كتقليد للبرتغاليين ، ذلك لان فقدان العرب كثير من سفنهم امام سفن الاسطول البرتغالي جعلهم يحاكون البرتغاليين في بناء السفن المثبة بالحديد ، ولكن لا تزال السفن المخططة قائمة في تلك الانحاء (٤٠) .

واشهر انواع السفن الحربية المستخدمة في البحر الاحمر والمحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر هي الغراب والبرشة والطليلة .

١ - الغراب : جمعه اغربة وغربان وكانت معروفة من اقدم العصور ، وظلت مستخدمة حتى القرن السادس عشر . وقد سميت بهذا الاسم لان مقدمتها تشبه راس الغراب (٤١) . ويبدو ان هناك نوعان من الاغربة منها الكبير ذات الشراع الواحد

(٣٧) C.R. Tibbetts, 'Arab navigation in the Red Sea' Geographical Journal, Vol.

127 (1961), p. 333; انظر ايضا

جورج فاضلو حوراني ، العرب والملاح في المحيط الهندي في العصور القديمة واول العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨) ص ٢٥٨ .

(٣٨) شهاب ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣٩) حوراني . المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(٤٠) انظر

W.H. Moreland, 'The Ships of the Arabian Sea about A. D. 1500, Journal of the Royal Asiatic Society, Part II. (April, 1939), pp. 181-2;

انظر ايضا ، حوراني . المصدر السابق ،

ص ٢٥١ - ٢ .

(٤١) محمد ياسين الحموي ، تاريخ الاسطول العربي (دمشق ، ١٩٤٥) ص ٢٩ ، د . سعاد ماهر ، البحرية في مصر الاسلامية واثارها الباقية (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢٥٩ .

والصغير الذي تسيره المجاذيف (٤٢) . وقد اشتهر هذا النوع من السفن بكونه من اهم السفن الحربية التي استعملها المصريون في محاربة البرتغاليين . فقد خرج منها ثلاثة افريقية في حملة الامير حسين الكردي الاولى عام ١٥٠٥ (٤٣) ، وثلاثة اخرى في حملة عام ١٥١٠ (٤٤) ، وكان اكبر مجموعة منها قد خرجت من مصر في الحملة التي ترأسها سلمان الرئيس عام ١٥١٥ ، وكان عددها نحو عشرين غرابا (٤٥) . وقد استمر وجود الافريقية واستخدامها من قبل العثمانيين في البحر الاحمر والمحيط الهندي في حملاتهم ضد البرتغاليين في البحار المذكورة (٤٦) .

٢ - البرشمة : جمعها برشات وهي نوع من السفن الحربية الكبيرة (٤٧) . ولا يستبعد ان تكون البرشة نفس نوع البارجة Barça العثمانية التي تم بناء عدد منها في السويس في منتصف القرن السادس عشر (٤٨) . او تلك التي استخدمها البرتغاليون في البحار الشرقية في مطلع القرن السادس عشر والمسماة بـ (Barge) (٤٩) .

وقد ذكر هذا النوع من السفن الحربية في الحملة البحرية الاولى التي قادها حسين الكردي ضد البرتغال في عام ١٥٠٥ ، حيث اشتركت فيها

(٤٢) Serjeant, op. cit., p. 134;

وبشير ابن اياس الذي ان السلطان الفسوري « بعث على بعض الامراء فانزلهم في الغراب الكبير » وهذا ما يشير الى وجود هذا النوع من الافريقية . ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٤٣) بو مخزومة ، المصدر السابق (الترجمة الانكليزية) ص ٩ ، انظر ايضا يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي الصنعاني ، غاية الاماني في اخبار القلندر اليماني ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٦٨) ص ٢٦٦ .

(٤٤) ابن الديبع ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١١ .

(٤٥) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٤٦) انظر على سبيل المثال النهروالي ، البرق اليماني ، ص ٢٤ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، الصنعاني ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، Serjeant, op. cit., p. 96

(٤٧) الصنعاني ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٤٨) انظر

S. Soucek, 'Certain types of ships in Ottoman - Turkish terminology Turcica: Revue D'Etudes Turques, VII (Paris, 1975), pp. 242-3.

(٤٩) بو مخزومة ، المصدر السابق (الترجمة الانكليزية) ، حاشية الحق ، pp. 62-3 .

ثلاثة برشات (٥٠) ، ويبدو بانها كانت من بين سفن الحملات المصرية الاخرى التي وجهت ضد البرتغاليين في السنوات التالية .

٣ - الطليعة : كانت الطليعة على ما يظهر من السفن السريعة كالطراد ، وقد اشارت الصنعاني اليها في حوادث سنة ١٥٠٩/١١ حيث قال « وفيها فقدت مراكب السلطان عامر (بن عبد الوهاب) في البحر ، ولم يبق منها الامركب واحد وطليعتان (٥١) . ومما تجدر الاشارة اليه ان السفن الحربية كثيرا ما كانت تخرج وهي مصحوبة بسفن اخرى لنقل المؤونة والسلاح ، كما حدث في حملة ١٥٠٥ حيث جهزت « بعدة مراكب مشحونة بالزاد والسلاح وغير ذلك » (٥٢) .

وهناك انواع اخرى من السفن العربية التي كانت تستعمل في البحر الاحمر والمحيط الهندي مثل الجلبة (٥٣) والسنبوق (٥٤) ، ولكننا لم نذكر لها في الفترة موضوع البحث . وهي لذلك اما ان تكون قد اختفت في مطلع القرن السادس عشر ، او ان تكون قد قلت اهميتها تجاه السفن الاخرى التي سبق ان اشرنا اليها اعلاه ، او استبدلت اسماءها باسماء اخرى .

وهكذا يتراءى لنا اهمية الدور الذي لعبته السفن الحربية العربية والتحسينات العسكرية التي اقامها المصريون واليمنيون للثغور العربية المطلة على سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وهي وان لم تفلح في طرد البرتغاليين من مياه المحيط الهندي ، الا انها افلحت في استبعادهم من مياه البحر الاحمر التي ظلت تحت السيادة المصرية .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٩ ، في حين يذكر الصنعاني بوصول برشتان في مقدمة الحملة المصرية ثم تبعها ثلاثة اخرى بصحبة حسين الكردي ، غاية الاماني ، ج ٢ ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٥١) الصنعاني ، المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢٧ .

(٥٢) ابن اياس ، المصدر السابق ج ٤ ص ٨٥ .

(٥٣) الجلبة : هي نوع من السفن الصغيرة المخيطة التي ظلت تجوب مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي . شهاب ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ، ماهر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٥٤) السنبوق : هو نوع من السفن الصغيرة التي كانت تبني على سواحل المحيط الهندي . شهاب ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

مصادر البحث

١ - المصادر العربية :

ابن اياس ، ابو البركات محمد بن احمد الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٠) .

ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، كتاب قرة العيون باخبار اليمن اليمون ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع الخوالي (القاهرة ، ١٩٧٧) ٢ جزء .

بومخرمة ، قلادة البحر في وفيات اعيان الدهر (مخطوط)
انظر الترجمة الانكليزية
باسم : L.O. Shuman

حوراني ، جورج فافلو ، العرب والملاح في المحيط الهندي في العصور القديمة واول العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨) .

الحموي ، محمد ياسين ، تاريخ الاسطول العربي (دمشق ، ١٩٤٥) .

دراج ، احمد ، الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي (القاهرة ، ١٩٦١) .

مسالم ، د . مصطفى ، الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٢٨ - ١٦٢٥ (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٤) .

شهاب ، حسن صالح ، اضواء على تاريخ اليمن البحري (بيروت ، ١٩٧٧) .

الشماني ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، غاية الاماني في اخبار القطر اليمني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ، ١٩٦٨ (٢ جزء) .

الصواف ، د . فائق فكر ومحمد رمضان ، د . مصطفى محمد ، اهمية لفر جدة في النصف الاول من القرن العاشر الهجري (١٦م) ، الدارة ، العدد الثاني ، السنة السادسة (١٩٨١) من ١٩٩ - ٢٢١ .

عبد ديه ، الدكتور سعد زملول ، البرغاليون والبحر الاحمر الدارة ، العدد الثاني ، السنة السادسة (١٩٨١) من ١٠٨ - ١٢٤ .

ماهر ، سعد ، البحرية في مصر الاسلامية وانوارها الباقية (القاهرة ، ١٩٦٧) .

النهر والسي ، قطب الدين محمد بن احمد ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام (بيروت ، ١٩٦٤) .

النهر والسي ، قطب الدين محمد بن احمد ، البرق اليمني في الفتح الشامي (الرياض ، ١٩٦٧) .

٢ - المصادر الاجنبية :

Ayalon, David, Gunpowder and firearms in the Mamluk kinkdom (London, 1956).

Moreland, W.H., "The Ships of the Arabian Sea about A.D. 1500", Journal of the Royal Asiatic Society, Part II (April, 1939), pp. 173-192.

Norris, H.T. and Penhey, F.W., "The Historical development of Aden's defences", Geographical Journal, Vol. cxxi, Part I (March, 1955), pp. 11-20.

Ross, E. Denison, "The Portuguese in India and Arabia, 1517-38, Journal of the Royal Asiatic Society, Part I (January, 1922), pp. 1-19.

Serjeant, R.B., The Portnguese off the South Arabian Coast (Oxford, 1963).

Shuman, Lein oebele, Political History of the Yemen at the beginning of the 16th Century (Amsterdam, 1960.)

Soucek, S., 'Certain types of ships in Otlo-man - Turkish terminology', Turcica : Revne D'Études Turques, VII (Paris, 1975), pp. 233-248.

Tibbetts, G.R. 'Arab navigation in the Red Sea' Geographical Journal, Vol. 127 (1961), pp. 322-334.